فكنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف بغير منكر، وتنهون عن المنكر بالمعروف، هكذا كان ديدن السلف؛ الذين نقتفي أثرهم.

❐❐❐

التطرف الديني في ضوء نظرية المؤامرة

بالطبع لا يمكننا إنكار نظرية المؤامرة، ولكنها لم تحبك أو تصاغ على النحو الذي نعتقده في مخيلتنا، فالعالم الغربي تحكمه عدة مؤسسات؛ منها الاقتصادي، والأيدلوجي، والعقدي، وكل من هذه المؤسسات يعمل بطبيعة الحال لخدمة ذاته، فلا يعقل أن تضحي المؤسسات الاقتصادية بمصالحها أو مكاسبها لصالح أمة ما، وبمعنى آخر: أن الغرب الصناعي المنتج من مصلحته أن يظل العالم العربي الإسلامي راكدًا، ويلعب في سوق الاقتصاد دورَ المستهلك فقط، ومن ثم: عندما يعرقل أو يراقب أو يستقطب كل ما يساعد على نهوض هذه المنطقة فنجده أول المعرقلين؛ دفاعًا عن مصالحه.

أما المؤسسات السياسية فمن مصلحتها أيضًا أن تكون هذه المنطقة في وضع غير مستقر سياسيًّا، فدائمًا ما تجد الأصوات التي تحول بين العرب واتحادهم في سياق كونفدرالي أو تفعيل بعض ما جاء في ميثاق الجامعة العربية، بدايةً من الاقتصاد ونهاية بالدفاع المشترك، أقول ثانية: من مصلحة الغرب أن تكون لهم اليد العليا في تسييس هذه المنطقة، وقد استثمروا بعض عملائهم في الشرق الأوسط؛ بدايةً من تمزيق الولايات العثمانية، ومرورًا بإحباط كل المحاولات الوحدوية بين مصر وجيرانها (مصر والسودان - مصر وسوريا - مصر وليبيا والسودان - مصر وليبيا والسودان والعراق)،

وفي الستينيات راحوا يوقفون الخليج من زعامة عبد الناصر، وفي السبعينيات راحوا يهددون الخليج أيضًا بإيران، وفي أخريات التسعينيات ورطوا العراق في حرب الخليج الأولى، ثم حرب الخليج الثانية، ولا ننسى المؤامرة الكبرى؛ أعني وعد بلفور ووضع إسرائيل في المنطقة، وهو إلى أدنى شك قد لعب دورًا كبيرًا في الحيلولة بين وحدة العالم العربي، وأعتقد أن موقف العالم الغربي من القضية الفلسطينية لن يتغير؛ وذلك لوجود إسرائيل في المنطقة بات من المسلمات، رضي العرب أم أبوا؛ وذلك لحماية مصالح الغرب الاقتصادية والسياسية معًا، ويمكننا مراجعة موقف مجلس الأمن والاعتراضات المتتالية على أي قرار إدانة يوجه لإسرائيل رغم أفعالها التي تتنافى مع أبسط حقوق الإنسان، أضف إلى ذلك كله: أن المنازعات والحروب التي تشنّ من حين إلى آخر بين أقطار المنطقة تنشّط حركة بيع السلاح وتجريبه والدعاية للمصانع التي تنتجه.

أما المؤامرة العقدية فترجع إلى العديد من المؤسسات؛ شأن المحافل الماسونية[1]، والجمعيات الإلحادية، والمنظمات الصهيونية، والمنظمات الصهيوأمريكية، وغلاة المسيحية الصليبية، فجميعها يدعم التطرف بكل أشكاله؛ أي أنها تدعم التطرف الطائفي (شيعة وسنة[2]، ليبراليين أو اشتراكيين ضد السلفيين، إخوان ضد الدولة، جماعات مسلحة وخلايا سريّة ضد الأنظمة القائمة، دروز ضد موارنة، كاثوليك ضد أرثوذكس ضد بروتوستانت)، ذلك فضلاً عن الحملات التشكيكية التي تنشرها في أجهزة

(1) صابر عبدالرحمن طعيمة: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، دار الجيل، بيروت، 2004.

(2) عصمت نصار: ثقافتنا العربية بين الإيمان والإلحاد، دار الهداية، القاهرة - 2000.

إعلامها، وفي كتابات مستشرقيها، وكذا دورها الفعال في ظهور الجماعات الماجنة؛ مثل عبدة الشيطان والإيموز، وقد ذكرنا قبل ذلك دورهم في ظهور البابيّة والبهائيّة والقاديانيّة ثم داعش، الأمر الذي يجعلنا نسلم بوجود ما نطلق عليه المؤامرة.

غير أنني مع التسليم بكل ما سبق أقول: إن هناك قصورًا ذاتيًّا، وخللاً في بنية الأنا العربية الإسلامية، تتمثل في عدم الوعي بالمطامع الغربية، والتضحية بالمصلحة العامة من أجل الحفاظ على الإمارة والملك والحكم، والدليل على ذلك أن هناك أقطارًا إسلامية قد استطاعت الفكاك من ذلك الشرك الغربي؛ مثل باكستان وأندونسيا، فلم تحل الرقابة الأمريكية على مقدرات ومؤسسات هذه الدول من نهوضها حتى أضحت لها شخصية مستقلة تمامًا عن التبعية، وقادرة - في الوقت نفسه - على الردع، والرد على كل من يحاول التعدي على مصالحها.

وأخيرًا أوجه للمتشككين في وجود نظرية المؤامرة بعض الأسئلة: من الذي وضع بروتوكولات حكماء صهيون؟ ومن الذي يغذي المحافل الماسونية بشتى أنحاء العالم العربي الإسلامي؟ ومن الذي وضع نظرية الشرق الأوسط الجديد، وتطبيقاتها في العالم الإسلامي؟ ومن الذي وضع نظرية العولمة، ونظرية الجات؟ ومن الذي يدعم الآن داعش والنصرة وأنصار بيت المقدس؟

علينا أن نتساءل: هل مواقف أمريكا من العالم الإسلامي قد تغيرت أو تحولت، أم بدّلت الأقنعة وغيرت قواعد اللعبة؟

إن أسطورة المارد الأخضر وخوف الغرب من انتشار الإسلام هو

الـذي يدفعهم دومًا لتشـويهه؛ وذلك لتيقنهم أن عالمية الإسـلام وما فيها من قيم روحيـة وأخلاقية كفيلة بـأن تنقذ العالم، بل تنقـذ البشرية من أغلال أيدلوجياتهم الفاسدة. [1]

❐❐❐

مفاهيم ومعتقدات موروثة والتطرف الديني

إن مـن يراجـع مقـالي عـن «الفرقـة الناجيـة» الـذي نشرته عـلى بوابة (روزاليوسـف) سـوف يدرك أن هـذه الفكرة كانـت وراء مـا نطلق عليه «الشـيفونية» أو «التعالي المليّ» أو «العنصرية»، ويبدو ذلك في أن كل فرقة كلامية قد زعمت بأنها هي التي تحمل لواء الوسـطية، وتحمي جوهر العقيدة الإسلامية، ودونها بطبيعة الحال جانح أو فاسق أو مجدّف، ففرقة المعتزلة تعد نفسـها هي الفرقة الناجية، وحجتهم في ذلك أن الباري سـبحانه وتعالى وجّه كلامـه إليهم دون غيرهم (قوم يعقلون، يفقهون، يتفكرون، أولو الألباب)، وفرقة الأشاعرة نصّبت نفسها المتحدث الرسميّ بلسان أهل السنة والجماعة، وقـد برهنـوا على ذلـك برفضهـم كل دخيل من العوائـد على ما سـنّه النبي، وردهـم الجدلي على الفلاسـفة وغلاة الصوفية، وإعلائهم من شـأن المعقول على المنقول. وفي العصر الحديث نجد الشيعة والسلفية الجديدة والماتريدية والمدرسة الأزهرية والطرق الصوفية والإباضية والإخوان والفرق الجهادية وداعش كلهم يظن أنه يمثل تلك الفرقة الناجية.

(1) عصمت نصار: الخطاب الديني والمشروع العلماني وجهان لعملة زائفة، دار الروافد، القاهرة، 2013.